﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾ [البقرة: 199]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا أمرَ اللهُ بالإفاضةِ مِنْ عَرَفاتٍ، وكانت قريشٌ يقفونَ في الجاهليَّةِ بمزدلفةَ، كما في حديث عائشةَ ﵂ أنّها قالت: «كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ العَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا" فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾»[1]، فَجاءتْ هذهِ الآيةُ لِإبطالِ ما كانتْ عليه قريشٌ، فَأَمرَهُمْ أَنْ يَفِيضُوا مَعَ النَّاسِ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ﴾: أَصلُ الكلمةِ الْغَفْرُ، وهوَ السَّتْرُ والتَّغطيةُ، وَغفر اللّه ذنوبَه: أَي سَترها وَلم يَفْضَحهُ بهَا على رُؤُوس المَلأ. وكلُّ شَيْء سترتَه فقد غفرتَه، وَمِنْه سُمِّيَ الذي يكون تحتَ بيْضة الْحَدِيد على الرَّأْس مِغْفَرًا؛ لأَنَّهُ يَسْتُرُ الرَّأْسَ، و﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ بمعنى اطلبوا غفرانه قولًا وفعلًا. ولم يؤمروا بأن يستغفروه بالمقال دون الأفعال كاستغفار الكذابين[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ثُمَّ ادفعوا مِنْ عَرَفاتٍ لا مِنَ المزدلفةِ، كما كانَ يَصنَعُ النَّاسُ المُقتدُون بإبراهيمَ ﵇، مُخالفينَ بذلكَ ما يَصنَعُ مَنْ لا يَقِفُ بها مِنْ أَهلِ الجاهليَّةِ، وَيرَونَ ذلكَ ترفُّعًا على سائِرِ العربِ، فَأُمروا بِأَنْ يساووهُمْ، وَاطلبواْ المَغفرةَ مِنَ اللهِ على تقصيرِكُمْ في أَداءِ ما شَرَعَ، إِنَّ اللّه غفورٌ لِمَنْ تابَ مِنْ عبادِهِ، رحيمٌ بِهِمْ[4].

(1) البخاري، حديث رقم: (4520).
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 2/187، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/242.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ (غفر).
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/131، و، نخبة من العلماء، التفسير الميسر: ص: 31.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دِلَالَةُ حَرْفِ الْعَطْفِ (ثُمَّ) فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾:

لَا يُعْبَدُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ

جاءَ حرفُ العطفِ (ثُمَّ)، لِترتيبِ الأَخبارِ على سبيلِ التَّراخي وَللتَّرقي في الخبرِ، فَيكونُ ما بعدَها لهُ أهميَّةٌ وعنايةٌ لمزيدِ معنًى ليسَ في الأوَّلِ.

والإفاضةُ المقصودةُ في قولِه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ هي الإفاضةُ مِنْ عرفات، في الأظهر[1]، فَجاءَتْ ﴿ثُمَّ﴾ لِبيانِ التَّفاوتِ بينَ الإفاضتَين، فَفي الأَوَّلِ أُمرَ بمُطلَقِ الإفاضةِ مِنْ عَرفات، ثُمَّ ذكرَ هنا طَريقَ الإفاضةِ من عرفات، وكيفَ تكونُ؛ وهيَ الإفاضةُ مِنْ مكانِ إفاضةِ النَّاسِ، ومصاحبَتُهم فيهَا، فَليسَ لِأحدٍ خَصوصيَّةٌ في اختيارِ طريقةِ العبادة[2]، وإنَّما العبادَةُ مبنَاهَا على التَّوقيفِ، فلا يُعبد اللهُ تعالى إلَّا بما شَرَعَهُ.

دِلَالَةُ حَرْفِ الْجَرِّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾:

بَيَانُ الشَّرْعِ لِلْأَحْكَامِ بَيَانٌ تَفْصِيلِيٌّ

أفادتْ ﴿مِنْ﴾ هنا بيانَ ابتداءِ مكانِ الإفاضةِ، وَذَكرَ ﴿حَيْثُ﴾ لِتقييدِ موضعِ الإفاضةِ وطريقتِها، وبيّنَهما ذكرُ المضافِ إليه، وهو جملةُ ﴿أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، لِيدلَّ الكلامُ على أنَّ ابتداءَ موضعِ إفاضتِهمْ هو الموضعُ الذي يُفيضُ منْهُ النَّاسُ، أَي: جميعُ الحَجيجِ، وأنَّ طريقةَ إفاضتِهم هي الاجتماعُ مَعَ الحَجيجِ.

بَلَاغَةُ الِاكْتِفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾:

مِنْ عَظِيمِ جُودِ اللهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ: إِعْطَاؤُهُ السَّائِلِينَ أَكْثَرَ مِمَّا أَمَّلُوهُ

في قول اللهِ تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ اكتفاءٌ، تقديره: واستغفروا اللهَ واسترحموهُ، ويدلُّ لذلك تذييلُ الآية باسمي اللهِ تعالى: الغفور والرَّحيم؛ فكان اسمُ اللهِ تعالى الغفور ملائمًا لقوله قبلُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ﴾، واسمُ اللهِ تعالى الرَّحيم ملائمٌ للأمر بالاسترحامِ المحذوفِ اكتفاءً.

(1) ابن جرير، جامع البيان، : 4/190.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/242.

ويَحْتَمِلُ أن لا يكونَ في الآيةِ اكتفاءٌ، بل أُمروا ههنا بخصوص الاستغفارِ، وكان الجزاءُ من اللّه تعالى أعظمَ ممَّا سألوهُ، فغفر لهم ذنوبهم، وأحلَّ عليهم رحمتَهُ زيادةً في الجودِ والكرمِ.

سَبَبُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

التَّلَبُّسُ بِالْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ غَيْرُ مُغْنٍ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ

فُصلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لما بينَهما من شبه كمال الاتِّصالِ، وهو المسمَّى: الاستئنافَ البيانيَّ؛ وذلك أنَّ قوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾، يُثير في نفس المتلقِّي للخطاب سؤالًا، وهو: ما سببُ الاستغفارِ ونحنُ متلبِّسُونَ بعبادةٍ شريفةٍ، فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بيانًا لسببِ طلب الاستغفارِ وعلَّتِهِ؛ وهو اتِّصافُ اللّه تعالى بصفتي المغفرةِ والرَّحمةِ، ومن جملةِ ما يظهَرُ بهِ أثرُهُما: استغفارُ العبادِ ربَّهم تعالى.

دِلَالَةُ التَّأْكِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

حَثُّ الْعِبَادِ عَلَى الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِرْحَامِ

أُكِّدَ قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بـ(إنَّ)؛ فإنَّها تُقَوّي مضمونَ الجُمَلِ الاسميَّةِ، كما أنَّ مجيءَ الجملةِ اسميَّةً يقتضي توكيدًا؛ إذِ هي آكدُ من الجملةِ الفعليَّةِ، فأفادَ مجموعُ الموكِّدَين تقريرَ اتِّصافِ اللّه تعالى بالمغفرة والرَّحمةِ، وتقويةَ نسبتِهِمَا له؛ حثًّا للعبادِ على لزوم الاستغفار والاسترحام.

إِيثَارُ الْإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ:

الإشعارِ بتَربيةِ المَهابةِ بذكرِ اسمِ (الله) الجليلِ

ذكرَ اللّه تعالى اسمَهُ الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾ في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ معَ قُربِ ذكرِ اسمِهِ صريحًا في قولِهِ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾، وكان مقتضى الظَّاهرِ أن يُقال: (واستَغفروا اللّه إنَّهُ غفورٌ رحيمٌ)، وفي التَّصريح بالاسم الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾ إشعارٌ بتَربيةِ المَهابةِ بذكرِ اسمِهِ الجليلِ، ولا سيَّما مع دِلالَتِهِ على صفاتِ الجلال والجمال والكمال.

وفي مجيءِ الخبرين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ على صيغةِ المبالغةِ إيماءٌ إلى رجاءِ قبولِ الاستغفارِ.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ اسْمِ اللهِ تَعَالَى (الْغَفُور) عَلَى اسْمِهِ سُبْحَانَهُ (الرَّحِيم):

الْمَغْفِرَةُ سَبَبٌ فِي الرَّحْمَةِ

وفي تقديمِ اسمه الغفور على اسمه الرَّحيم نِكَاتٌ:

أحدها: أنَّه من تقديمِ السَّبَبِ على المسبَّبِ؛ فإنَّ المغفرة سببٌ في الرَّحمةِ، وهو ظاهرُ دِلالة القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]، وذهب جماعةٌ من أهل العلم منهم ابنُ عرفة الورْغَمّيُّ إلى أنَّ الرَّحمة سَبَبٌ في المغفرَةِ؛ إذِ الرِّقَّةُ والعطفُ تُوجبانِ عادةً سَتْرَ الزَّلَلِ[1]، والأوَّلُ أظهرُ.

ثانيها: أنَّ ذلك يقتضي تقديمَ الرَّحمةِ بِدلالةِ اللُّزوم - لكونِهَا مسبَّبًا لِلْمغفرة -، وتأخيرَهَا بِدِلَالَةِ المُطابقة، فيُفيدُ ذلك الدُّعاءَ بها مرَّتين.

التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ

ثالثها: أنَّ في المغفرةِ زوالَ المرهوبِ، وفي الرَّحمةِ تحصيلَ المطلوبِ؛ فكان تقديمُ المغفرةِ من باب أنَّ التَّخليةَ قبلَ التَّحليةِ.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/435.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»